قال تعالى للنصارى (ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل) وقال في أهل الكتاب عموما (وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) وقال (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون)　　(البقية تأتي)

الدكتور محمد توفيق صدقي

تاريخ الجهمية والمعتزلة (*)

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا بحث جمع من تاريخ الجهمية والمعتزلة ما يحق ان يأخذ نفسه بتحققه من أنعم عليه بشرف المنزلة، وفضل بالادب والعلم، والاخذ من الفنون بسهم دعاني الى العناية به ما رأيت — لما أفضت بنا النوبة في قراءة صحيح البخاري الى « كتاب التوحيد والرد على الجهمية » — أن كلام الشراح عليه موجز، وان ليس في الايدي كتاب جمع تاريخهم وأحرز جمعت ما تيسر من شؤونهم، ثم أشفعته بطرف من أخبار المعتزلة لتوافق الفرقتين في معظم المسائل المعروفة عنهم، وفي تلقيب كل غالبا بلقب الاخرى

كثر ما يمر بقاري، التفاسير وشروح السنة ومؤلفات أصول الدين والفقه ومطولات التاريخ وكتب المقالات ذكر (الجهمية والمعتزلة)

(*) رسالة فضفاضة اهدى بها المنار صديقه علم الشام الشيخ جمال الدين القاسمي

ذلك لانهما كانتا أول من ظهر من الفرق الاسلامية في صدر حضارة الاسلام بقواعد الاصول ، والعمل على الجمع بين المنقول والمعقول، وفتح لأولي العلم باب النظر والتأويلات ، واتعب المجادلات والمناظرات ، وزحزح الواقفين عند ظواهر الرواية، الى منازل تأويل الدراية، وأشاع في الخافقين الآراء الغريبة في أصول الدين ، وفي تأويل آيات الصفات في الكتاب المبين ، بلّه ما اتفق لبعض الجهمية من اخافة امراء زمانهم بالخروج على عمال بني امية الظالمين، وانكارهم لاعمالهم الجائرة ، ونصبهم الحروب معهم الاعوام المتطاولة ، رغبة في تحكيم الكتاب والسنة والتقرب من الشورى كما سنقصه ، ولله أمر التاريخ فانه لايغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها

قد يظن انا نريد الكلام على الجهمية والمعتزلة من جهة عقائدهم ومحاكمتهم فيما لها وعليها ، — كلا ، فقد حكاها أرباب المقالات والمصنفون في الملل والنحل ، مابين عاتٍ لها فحسب ، ومابين عاتٍ وراادّ ، وهكذا كبار المتكلمين، وجهابذة السلفيين، في مؤلفات لايبلغها الاحصاء ، لاسيما المطولات منها (١)

(١) منها كتاب « تلبيس الجهمية ، في تأسيس بدعهم الكلامية » ويسمى « تخليص التلبيس، من كتاب التأسيس » للامام ابن تيمية . ومنها كتاب « الصواعق المرسلة ، على الجهمية والمعطلة » للامام ابن القيم . وكتاب « البيان، عن أصول الايمان، والكشف عن تمويهات أهل الطغيان » تأليف أبي جعفر السمناني البغدادي المالكي صاحب القاضي أبي بكر الباقلاني، رأيته في مكتبة المدرسة الثمانية بحلب أيام رحلتي اليها عام (١٣٣٠) وهذا الكتاب مخطوط تام (٦٨٣) ومعه كتاب « حز الغلاصم في احكام المخاصم » — عند جريان النظر ، في أحكام القدر ، وكتاب « تحرير التنزيه، وتحرير التشبيه » للامام أحمد بن محمد الاسكندراني المالكي وكلها في الرد على المعتزلة لكن بقواعد المخالف

لا يزال الحوار بين هاتين الفرقتين ومن خالفهما غضا طريا كلما سنحت مسائلهم، وما أكثر سنوحها للمفسر والمحدث والمتكلم والاصولي. ذلك بان مسائلهم متشعبة من وجوه ما يراد بالآيات والاخبار المأثورة في أبواب مسائلها، وهي مرجع المستدلين كل حين

ثم أشرنا الى جل من عقائدهم تنبيها للمقصد من التعريف بأحوالهم، الا ان المقصد هو سرد ما أورده المؤرخون من الحوادث التاريخية والوقائع التي جرت من جرائهم،

وما عدا ذلك فانما ذكر تكميلا ايقاظا واعتبارا، ولا ضرر فيهذا البحث من المباحث العلمية الذيول، الواسعة الانواع

وهذا تفصيل ما تضمنته المقالة في دائرة بحثين :

﴿ البحث الاول في الجهمية وفيه مطالب ﴾

١ من هي الجهمية ؟

٢ ذكر الجهم زعيم الجهمية

٣ خروج الجهم مع الحارث بن سريج على بني امية، ودعوتهما الى الكتاب والسنة والشورى

٤ مقتل الجهم بن صفوان والحارث بن سريج

٥ من وهم في عام قتل جهم وسببه وتصحيح ذلك

٦ فلسفة جهم (أو مذهبه) في الاصول، وتأثيره في العقول

٧ مناظرة الجهم مع بعض السمنية والمامه اياه، وما علق على هذه المناظرة

٨ تلقيب الجهمية بالجبرية

٩ التنبيه لما وقع من خلل النقل عن الجهمية وغيرهم

١٠ تمثل الشعراء بمذهب الجهمية
١١ بيان ان مذهب الجهم متلقى عن الجعد بن درهم ، وشيء من أنباء الجعد وقتله
١٢ نبذة من أخبار خالد بن عبد الله القسري قاتل الجعد استاذ الجهم
١٣ حمل الاثرية على الجهمية والاغراء بهم
١٤ رأي الأثرية في الجهمية
١٥ رأي الجهمية في الأثرية
١٦ تفريط الجهمية في السمع ، وسوامهم في العقل
١٧ بيان ان انقسام الناس الى التجهم ، يشبه انقسامهم الى التشيع ، وذلك ثلاث درجات

﴿ البحث الثاني في المعتزلة وفيه مطالب ﴾

١ التعريف بالمعتزلة
٢ سبب تلقيبهم المعتزلة
٣ تلقيب المعتزلة بالجهمية
٤ انتشار مقالة الجهمية بواسطة كبار المعتزلة
٥ ظهور دولة الجهمية (المعتزلة) في عهد المأمون ودعواه الى مذهبهم وما جرى على أئمة الرواية في مسألة خلق القرآن
٦ أول من صنف من المعتزلة في معاجة الاثرية
٧ تلقيب المعتزلة بالقدرية وسبب التسمية بذلك
٨ أول من تكلم في القدر
٩ رجال الجهمية والمعتزلة (القدرية) ممن روى لهما الشيخان البخاري

ومسلم في صحيحيهما

١٠ بيان ان الجهمية والمعتزلة لهم ما للمجتهدين

١١ شبهة الاثرية في اضطهاد الجهمية، والجهمية في اضطهاد الاثرية، لما دالت لكل الدولة، وفيه اعتذار بقلم الجاحظ

١٢ ماتنتج من تعصب الجهمية والاثرية وبيان آفة الغلو في التعصب

١٣ حظر الأئمة المحققين رمي فرق المسلمين بالكفر والفسق

١٤ بيان انه لا تضليل، لمن أصاره اجتهاده الى التأويل

١٥ ماوصى به الائمة من اطراح أقوال العلماء بعضهم في بعض، ومن التماس الحكمة أينما وجدت

هذا ماقدر جمعه على ضيق الوقت في بضعة شهور، وراجعت لاجله عدة أسفار، واقتبست ألطف ماأثر عن الكبار، ولم تكن موالاة البحث والتنقيب، باشق من العناية بالتنقيح والترتيب، بيد ان التذرع للحقائق يستسهل دونه كل صعب، ولا لذة تضاهي لذة العلم والحكمة واستنارة القلب، والفضل لله سبحانه فيما هدى وألهم، فلا نحصي ثناء عليه نسأله ان يعلمنا ما لم نكن نعلم

﴿ البحث الاول في الجهمية وفيه مطالب ﴾

(١) من هي الجهمية ؟

الجهمية فرقة من فرق المسلمين، انتحلت مذهب الجهم بن صفوان الآتي ذكره في مسائله المدونة في كتب المقالات والكلام. ثم توسعت بعد ذلك شأن المذاهب كلها التي استفحل أمرها، وكثرت رجالها، وتفرعت مسالكها، وتنوعت مصنفاتها، ولم تك قبل على شيء منها. وقد

يظن انها أمست أثراً بعد عين ، مع ان المعتزلة فرع منها ، وهي في الكثرة تعد بالملايين على ماستعرف ، على ان المتكلمين المتأخرين المنسوبين للاشعري يرجع كثير من مسائلهم الى مذهب الجهمية ، كما يدريه المتبحر في فن الكلام ، والموازن بين أقوال هؤلاء وأقوال السلف ، ولذا قلنا في المقدمة قبل : ان الخلاف بين الجهمية وغيرهم لا يزال غضا طريا كلما سنحت مسائلهم . ولعل لقب الجهمية غلب على المعتزلة من عهد المأمون كما سنوضحه ، والله أعلم

(٢) ذكر الجهم زعيم الجهمية وطرف من أنبائه

الجهم هذا : هو ابن صفوان ، من أهل خراسان ، ينسب الى سمرقند وترمذ ، ومعتده الكوفة . ويكنى أبا محرز . وكان مولى لبني راسب من الأزد . أخذ الكلام عن الجعد بن درهم ، وكان فصيحا . اتخذه الحارث ابن سريج التميمي — أيام قيامه بخراسان — كاتباً له كما سنفصله ، وكان يقعد في بيت الحارث في عسكره وكان يخطب بدعوته وسيرته ، فيجذب الناس اليه ، وكان يحمل السلاح ويقاتل معه ، وكان صاحب مجادلات ومخاصمات في مسائل الكلام التي يدعو اليها . وكان أكثر كلامه في الالهيات

يقول بعض من أرخه : لم يكن لجهم نفاذ في العلم ، يعني بالعلم علم الحديث والاثر فان الجمهور كان منكبا على تحمل الحديث وآثار الصحابة ومروياتهم ، الا فئة المتكلمين ، وفي مقدمتهم الجهم واخوانه ، فلم يكن لهم عناية برواية الحديث ولا تحمله . وكانوا يرون العلم ماهم فيه من علم الكلام ، ولذا كانوا يلقبون حملة الاثر بالحشوية ، — كما سيأتي

أول ظهور مذهب جهم كان بترمذ ، فانه أظهره فيه للملأ وأشاعه

وجاور فيه . ثم أقام ببلخ، فكان يصلي مع مقاتل بن سليمان في مسجده . ثم نفي الى ترمذ . ولما اتصل بالحارث بن سريج لم يزل معه الى ان قتلا ... كما سنفصله

هذا ما قاله الائمة من جعل ضلال الجهم بن صفوان كالامام أحمد في كتاب الرد على الجهمية ، والبخاري في كتاب خلق الافعال ، والطبري في تاريخه ، والامام ابن حزم في الفصل ، وابن عساكر وابن الاثير في تاريخيهما ، وابن حجر في الفتح (قلت) ومقاتل بن سليمان الذي كان يصلي في مسجده الجهم ، هو مقاتل البلخي المفسر المشهور الذي قال فيه الشافعي : الناس عيال في التفسير على مقاتل . وحكى العباس ابن مصعب — في تاريخ مرو — ان مقاتلا كان يقص في الجامع بمرو ، فقدم جهم بلخ الى مقاتل ، فوقعت العصبية بينهما ، فوضع كل منهما على الآخر كتابا ينقض عليه (١)

وعن أبي حنيفة رحمه الله قال : افرط جهم في نفي التشبيه ، حتى قال : انه تعالى ليس بشيء . وافرط مقاتل في معنى الاثبات حتى جعله مثل خلقه : نقله الحافظ الذهبي في (ميزان الاعتدال) وفي حكاية العباس ابن مصعب مايدل على ان الجهم كان من المؤلفين في مذهبه

(٣) خروج الجهم مع الحارث بن سريج على أمراء بني أمية ، ودعوتهما (الى الكتاب والسنة والشورى)

يمر بقارىء حوادث المائة الثانية للهجرة النبوية أخبار عن الحارث

(١) لو أبقت الايام لنا كتابي مقاتل والجهم ، لوقفنا على حقائق مذهب الجهم بما تفوق المئات عنه بمراتب . فوا أسفاه على ماطوته الاعصار من مثل هذه الآثار

ابن سريج عجيبة تدل على حرصه على نشر العدل، وتحرقه من الظلم وأهله، ورغبته في العمل باحكام الكتاب والسنة، وفي القضاء على سلطة الاستبداد وجعل الامر شورى، وان نصبه الحرب مع بني أمية، واتخاذه الجهم بن صفوان وزيراً في بث الدعوة كتابةً وخطابةً، انما كان لهذه المقاصد الحسنة

وملخص ما ذكره الطبري وابن الاثير وابن خلدون ان الحارث هذا كان عظيم الازد بخراسان [1]، وانه خلع سنة (١١٦) ولبس السواد، ودعا الى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم والبيعة للرضا. وأنكر سيرة هشام بن عبد الملك وأعماله، ونزل القاريات وأتى بلخ، واستولى عليها وأقام بها عاملا، وسار الى الجوزجان وغلب عليها وعلى الطالقان ومرو الروذ. ثم أقبل الى مرو (بيضة خراسان) في ستين ألفا ومعه فرسان الازد وتميم ودهاقين بلاد العجم. واقتتلوا مع أمير مرو قتالا شديداً، حتى انهزم أصحاب الحارث، ولم يبق منه الا زهاء ثلاثة آلاف، ثم عاد الحارث الى بلاد الترك، وأقام بها اثنتي عشرة سنة، ثم راسل بالعود الى خراسان، فأخذ الامان وعاد سنة (١٢٦) ولما قدم مرو لقيه الناس بكشميهن قال لهم: ماقرت عيني منذ خرجت الى يومي هذا، وما قرت عيني الا ان يطاع الله

قال ابن جرير الطبري: كان الحارث بن سريج يجلس على برذعة وتثنى له وسادة غليظة. ولما لقيه نصر بن سيار وأنزله أجرى عليه كل يوم خمسين درهما، فكان يقتصر على لون واحد، وطلق أهله وأولاده، وعرض عليه نصر ان يوليه ويعطيه مائة الف دينار، فلم يقبل، وأرسل

(١) أيام كانت فيالق العرب متغلغلة في احشاء بلاد فارس والديلم والخزر

الى نصر « اني لست من هذه الدنيا ولا من هذه اللذات ولا من تزوج عقائل العرب في شيء ، وانما أسأل كتاب الله عز وجل والعمل بالسنة واستعمال أهل الخير والفضل ، فان فعلت ساعدتك على عدوك »

وقال الحارث لنصر « خرجت من هذه المدينة - مرو - منذ ثلاث عشرة سنة انكارا للجور ، وأنت تريدني عليه »

هذا كلام الحارث في مشربه نفسه ، وفي رأيه في سياسة الشعب ، وصلاحه في وجوه اصلاحه ، وبه يعلم منزلة عقله ، ونبله وفضله ، وغيرته وتقواه ، رحمه الله　　(البقية تأتي)

قانون

جماعة خدام الكعبة

(تمهيد للمترجم) شغلني شاغل عن اتمام ما بدأت به من نقل (قانون جماعة خدام الكعبة) التي أرسلت اليكم من قبل تمهيد الحاج الفيور المستر مشير حسين صاحب القنواتي له ، وقد كان تأليف هذه الجماعة المباركة في طور التكوين . ثم تمخضت الآراء في هذه المدة عن هذا الجنين الميمون فبرز الى الوجود صارخا بدعوة أبناء الاسلام الى كفالته ، والعناية بتربيته ، ليشب في حجور الغيرة الاسلامية ، ويترعرع في حضن الحمية الدينية ، برز الى الوجود فتكفله رجال اتفق أغلب الناس على اخلاصهم في غيرتهم وصدقهم في اخلاصهم ، وعلى اقتدارهم ولياقتهم وصبرهم وثباتهم

اجتمعوا لاول مرة فتذاكروا وتداولوا ووضعوا مواد القانون الاساسي وقرروا اجراءه والعمل به . وقد حلف بعض ذوي الغيرة اليمين ودخل في الجماعة طائفة صالحة ، وقد نشر هذا القانون في العدد (٧٢) من جريدة (حمدود) اليومية الصادرة من دهلي في يوم الجمعة ١٦ مايو سنة ١٩١٢ مفتتحة بتمهيد صغير لا بأس بنقله وهو هذا :